صورة المدينة (بغداد) في رواية أحمر حانة لحميد الربيعي

إعداد: إسراء جلال حمه مراد
جامعة الأديان والمذاهب/ كلية اللغات
والثقافات الدوليّة/ قسم اللغة العربية

إشراف الدكتور: حسين قدمي
جامعة الأديان والمذاهب/ كلية اللغات
والثقافات الدوليّة/ قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني Email : jlalsra170@gmail.com
Dr.ghadami91@gmail.com

الكلمات المفتاحية: صورة، المدينة (بغداد)، أحمر حانة، حميد الربيعي.

كيفية اقتباس البحث

مراد ، إسراء جلال حمه ، حسين قدمي، صورة المدينة (بغداد) في رواية أحمر حانة لحميد الربيعي، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The image of the city (Baghdad) in the novel Red Pub by Hamid Al-Rubaie

Prepared by
Israa Jalal Hama Murad
University of religions and denominations/Faculty of international languages and Cultures/Department of Arabic language

Supervised by
Dr. Hussein Kadmi
University of religions and denominations/Faculty of international languages and Cultures/Department of Arabic language

Keywords : Picture, City (Baghdad), "Aḥmar ḥāna" (Red pub), Hamid Al-Rubaie .

How To Cite This Article
Murad, Israa Jalal Hama , Hussein Kadmi, The image of the city (Baghdad) in the novel Red Pub by Hamid Al-Rubaie, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2024,Volume:14,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The novel is considered one of the literary arts that is narrated in long prose, intertwining events, because it is of great importance to readers, and is famous for introducing the reader to different native cultures and civilizations, and sheds light on different social and historical issues, so I chose to study one of the novels of Iraqi writers who enriched libraries. Arabic and Iraqi in particular with their literary works, and one of those products is the novel Red Pub by the Iraqi novelist Al-Rubaie, and after that, he narrates the story by depicting the picture of the city (Baghdad) between the past and the present by describing history as a human act that is subject to change and not an ending record of the past only, as the novelist exposes in this The novel is about different cultural and political

figures that are in Iraq and nine in the city (Baghdad), such as violence, extremism, fanaticism and sectarianism, by looking at their personalities and locations, and linking events and characters to the place, and the human relationship with the environment with its presence there, his life and his actions. Therefore, highlighting the contradictions the tensions between the place, the characters, the job, and the locations give the novel a genetic dimension in determining the atmosphere of events and characters, reflects the feeling of familiarity and belonging, and is a stage for these characters' misfortunes. The most important outcome of this study is the importance of the literary novel in contemporary times and represents the narrative form of the novel, through a review of the most prominent narrative connections. By Hamid Al-Rubaie, which is characterized by a multiplicity of styles, techniques and modern stories. The writer also showed his love and loyalty to the city of Baghdad through its detail that is beloved to the reader. This adds a unique atmosphere and permanence to the flow of events in the novel, and clarification to basic elements of the location of the narrative and the way they are interconnected, especially Fernand Al-Sardi, which came as an element. Main in the ancient novel Al-Hamra, where it was used effectively in describing the city (Baghdad), remembering the feelings and events that occur in it, and highlighting the social and political circumstances in daily life. The description of the place constitutes an important point in this translation of feelings, and it begins and defines the nature of the characters and narrative relationships. Inside the novel.

الملخص

تعتبر الرواية فن من الفنون الأدبية التي تحكى بسرد نثري طويل، متشابك الأحداث، يحظى بأهمية كبيرة من قبل القُراء، كونها وسيلة لتعريف القارئ بثقافات وحضارات أمم مختلفة، وتسلط الضوء على مختلف القضايا الإجتماعية والتاريخية والثقافية، لذا آثرت على دراسة رواية من روايات الكتُّاب العراقيين الذين أغنوا المكتبات العربية والعراقية بشكل خاص بمؤلفاتهم الأدبية، ومن تلك النتاجات هي رواية أحمر حانة للروائي العراقي حميد الربيعي، والتي أعاد فيها سرد الحكاية بتصوير صورة المدينة (بغداد) ما بين الماضي والحاضر بوصف التاريخ فعلاً إنسانياً قابل للتغيير وليس بوصفه سجلاً للماضي فقط حيث يتعرض الروائي في هذه الرواية لعدد من القضايا الإجتماعية والثقافية والسياسية المختلفة التي جرت في العراق وتحديداً في المدينة (بغداد)، مثل العنف والتطرف والتعصب الديني والطائفي، وذلك من خلال وجهات نظر شخصيات الرواية ومواقعهم، وربط الأحداث والشخصيات بالمكان، وعلاقة الإنسان بالبيئة

المحيطة به وتأثيرها على حياته وتصرفاته، لذا فأن تسليط الضوء على التناقضات والتجاذبات بين المكان والشخصيات وتوظيف الأماكن والمواقع يعطي الرواية بعداً إضافياً يساهم في تحديد جو الأحداث والشخصيات ويعكس الشعور بالتآلف والإنتماء ويكون مسرحاً لمصائر هذه الشخصيات، وأن أهم ما نتج عن هذه الدراسة هو أهمية الرواية الأدبية في الزمن المعاصر وتطور الشكل السردي للرواية، من خلال استعراض أبرز النماذج الروائية الحديثة عند حميد الربيعي والتي تتميز بتعدد الأصوات والأساليب والقصص، كما يظهر الكاتب حبه وولاءه لمدينة بغداد من خلال تفصيلها المحبب للقارئ، فذلك يضفي جواً فريداً وديمومة على تدفق الأحداث في الرواية، والتطرق إلى أهمية عناصر السرد وطريقة ترابطها، خاصة العنصر السردي للمكان الذي جاء كعنصر رئيس في رواية أحمر حانة، حيث تم إستخدامه بشكل فعال في وصف المدينة (بغداد) وإظهار المشاعر والأحداث التي تحدث فيه، وإبراز تأثير الظروف الإجتماعية والسياسية على الحياة اليومية، فوصف المكان شكل نقطة مهمة في ترجمة هذه المشاعر، وتطور وتحديد طبيعة الشخصيات والعلاقات السردية داخل الرواية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ... على إحسانه وله الشكر على توفيقه وإمتنانه... والصلاة والسلام على رسوله وخليله وصفوته من خلقه، سيد البشر محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وعلى آل بيته الأطهار الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين (عليهم السلام).

أما بعد:

كوّن أدباء العراق تنوعاً متميزاً في نتاجاتهم الأدبية، لاسيما الأدباء المغتربين قسرا عن بلدهم الأم، لذا فإن من الوفاء لهذا الأدب العريق والأدباء العراقيين أن نهتم به درساً ونشراً وتمحيصاً، ودفعني حبي وشغفي إلى اختيار رواية من روايات الكاتب العراقي الكبير حميد الربيعي الذي نال نصيبه بالاغتراب مدة (٣٠) عاماً، وهي رواية أحمر حانة، التي تعد من النماذج الروائية الحديثة التي تناولت موضوعاً هاماً ومثيراً للاهتمام في الدراسات الأدبية المعاصرة بتطوير أساليب السرد في تصويره صورة المدينة (بغداد) بين الماضي والحاضر، وإيصال رسالة حول واقع الحياة في العراق عامة والمدينة (بغداد) خاصة وتأثير الحرب والعنف على حياة المجتمع، فمن خلال هذه العناصر السردية داخل الرواية والتي تعد أساسية لتكوين وترابط الأحداث وإيصال الرسالة التي يريد الروائي أن يوصلها إلى القارئ، فالرواية تحتاج إلى عناصر السرد، كالمكان والحبكة والشخصيات والزمان والأسلوب الروائي وإبراز الموضوع المطروح، فأن وصف المدينة (بغداد)

هو الفضاء الذي تدور فيه أحداث الرواية، وقد إستثمر الروائي حميد الربيعي عنصر المكان بأسلوب لافت وناجح منحه فاعلية عالية جعله يتصيد المشهد في الرواية.

جاء البحث بمقدمة ومبحثين وخاتمة، فالمبحث الأول تناول حياة الروائي حميد الربيعي، أسمه وولادته ونشأته، مؤلفاته ومهامه الأدبية، وفاته، أما المبحث الثاني فقد تناول نماذج من صور المدينة (بغداد) في رواية أحمر حانة، تجليات المدينة (بغداد) في الرواية، الشخصيات البغدادية في الرواية، الملاحظات التي تظافرت على تشكيل صورة المدينة (بغداد)، نماذج تطبيقية بتصوير المدينة (بغداد) في الرواية، ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني هي قلة المصادر والدراسات التي تناولت روايات وحياة الروائي حميد الربيعي، وأخيرا ... أضع هذا الجهد المتواضع بين أيديكم، فأن أصبت فمن الله (عزَّ وجلْ) التوفيق، وإن أخطأت فمن نفسي فأستغفر الله العلي العظيم، فاني بذلت كل جهدي وأخلصت النية في عملي لله تبارك وتعالى.

المبحث الأول

حياة الروائي حميد الربيعي

أولا: أسمه وولادته ونشأته

هو عبد الحميد عباس عذاب سلمان الربيعي من قبيلة بني ربيعة، ولد في محافظة واسط/ مدينة الكوت عام (١٩٥١م)، كانت نشأته الأولى في الكوت مركز المحافظة، ثم إنتقل إلى العاصمة بغداد مع أهله وأكمل دراسته وحصل على شهادة البكالوريوس من جامعة بغداد/ كلية الطب البيطري عام (١٩٧٦م)، كما حصل على شهادة الماجستير من جامعة البصرة/ قسم التحليلات المرضية عام (١٩٩٧ م).[١] توزعت بوصلة حياته على بلدان ومناف عديدة إستمرت ثلاثين عاماً فاجتمعت في حياته غرائبية قلما نجدها في حياة شخص، ففي ليل عراقي هرب فن الربيعي من قبضة العبث وسوء الأوضاع السياسية في العراق عام (١٩٧٩م)، محتمياً إلى الخليج العربي وتحديداً الكويت والتي عاش فيها فترة ثلاث سنوات لغاية عام (١٩٨٢ م)، بعدها إنتقل إلى أوربا وتحديداً مدينة فيينا حيث عاش فيها لغاية عام (١٩٨٧ م)، وبعد فراق طويل مليء بالحزن والشوق عاد إلى الكويت عام (١٩٩٠ م)، متلهفاً للقاء عائلته القادمة من العراق وهم زوجته وأولاده: طلال ونادية، وشهد في تلك الفترة أحداث غزو الكويت من قبل الطاغية، وبعد سقوط الطاغية عام (٢٠٠٣ م)، عاد إلى الوطن الأم العراق.[٢]

ثانيا: مؤلفاته ومهامه الأدبية

حُب الفن والأدب والكتابة عند الروائي حميد الربيعي بدأت منذ نعومة أظافره وكان هاوياً محبا للأدب وما نتاجاته الأدبية إلا خير دليل على ما رزقه الله (عزَّ وجلْ) من موهبة أدبية

بالرغم عدم تخصصه بدراسة الأدب، حيث أبدع فيما كتب وفيما أنتج.[٣] وطوال مدة إقامته بالخارج نشرت له ما يقارب (٥٥) قصة قصيرة في الصحافة العربية والخليجية، معظمها قد ضاع منه بسبب التنقل بين البلدان، وكما ألفَّ:

١- قصة (كان مزهرا مثل شقائقه) عام(١٩٨٤م)، وقد عد الروائي حميد الربيعي هذا العام البداية الأدبية الفعلية له.

٢- رواية (سفر الثعابين) عام (١٩٨٧ م)، وهي أول رواية له.

٣- رواية (تعالى وجع مالك) عام (٢٠٠٨، ونشرها عام (٢٠١٠ م).

٤- رواية (جدد موته مرتين) عام (٢٠١٢ م).

٥- "رواية (دهاليز للموتى) عام (٢٠١٤ م)، والتي استغرقت (٢٣) عاماً لكتابتها، حيث بدأها أواخر عام (١٩٩٠م)، والتي تناولت أحداث غزو الكويت

٦- المجموعة القصصية (بيت جني) عام (٢٠١٥ م).

٧- رواية (أحمر حانة) عام (٢٠١٧ م)، عن دار صفصافة للنشر والتوزيع –القاهرة.

٨- كتاب (سرد بوصفه شغفا) أواخر عام (٢٠١٧ م).

٩- متوالية سردية (غيمة مطر) عام (٢٠١٩ م)، والتي فازت بجائزة الإبداع العراقي التي تقيمها وزارة السياحة والثقافة عام (٢٠٢٠ م).

١٠- رواية (جمرات يارا) عام (٢٠٢٠ م)، نشرت بعد وفاته.

وفيما يخص مهامه الأدبية والمناصب التي تسَنمها:

١–عضو اتحاد الأدباء والكُتَّاب في العراق منذ عام (١٩٧٦ م).

٢–عضو النقابة الوطنية للصحفيين العراقيين ورئيس نادي السرد عام (٢٠٠٣ م).

٣–عمل مع الصحافة الكويتية لمدة ثلاث سنوات منذ عام (١٩٧٩ م)، ومنها مجلة الطليعة الكويتية.

٤–أسس البيت الثقافي العربي في فيينا عام (١٩٨٧ م).

٥–عمل في الصحافة والإذاعة والتلفزيون في ليبيا للفترة (١٩٩٣–٢٠٠٩ م).

ثالثا: وفاته

إن (٦٩) عاماً من عمره لم تكن كافية لينجز كل ما لديه من قصة ورواية وتنظير في السرد لأن تنقله بين البلدان لأجل العلاج من مرض السرطان الذي كان يعاني منه منذ سنوات لم يمهله الوقت، ورحل يوم الاثنين الموافق (٢٠٢٠/٦/٢٢ م) مودعاً بذلك أَسراباً من الحمام التي كانت تحوم حوله.[٤]

المبحث الثاني

نماذج من صور المدينة (بغداد) في رواية أحمر حانة

أولا: تجليات المدينة (بغداد) في الرواية

قدَّم الروائي حميد الربيعي إهداء الرواية أحمر حانة إلى مدينة بغداد "إلى... مدينة إن لم تدخلها، كأنك لم تر الدنيا"،[٥] وهنا المكان مدينة بغداد، وحيث اعتمد السرد على هيكلٍ تاريخيٍ وحاضرٍ يمثل فضاء زمكاني واقعي مع غرائبية الشخصيات والأحداث التي ترتبط بحبل سميك بالمكان ولو كانت هذه الأحداث في غير هذا المكان لا تسير الأمور مثلما يقدمها السارد المتنوع "هذه الأرض ملأى بالطلاسم، أنا من يفك رموزها"،[٦] ومن هذا النص وعن توظيف التاريخ في الرواية يقول أحد النقاد "ويتمثل هذا المنحى الجديد بالنزعة التنبؤية والرؤيوية التي تستكشف المستقبل، وتعد القارئ، من خلال عقد قرائي، بالكشف عن المستور والمغيب وما هو غامض أو محرك للأحداث، من خلال عملية ملاحقة للقوى المحركة للعنف والإرهاب والموت، ومثل هذا العقد القرائي يطرح أيضاً أفق توقع بمنظور آيزر وهو أيضاً من الناحية السردية يعدُّ استباقاً سردياً لما هو قادم من مواقف وأحداث، وتقف رواية أحمر حانة للروائي حميد الربيعي بين هذه الروايات ذات الطابع التنبؤي الإستشرافي، حيث يعلن أحد رواتها وأبطالها إنه سيكشف عن المستور ويستقرئ المستقبل".[٧]

ومما تقدم ومن خلال عتبة العنوان أحمر حانة نستطيع أن نستنتج أن "بؤرة الحكاية السردية ستكون عارضة لما يجري في المدينة المدورة (بغداد) من أهوال وأحوال الزمان، وأن أبن الأثير سيكون الرائي والشاهد في كتابة تاريخ هذه المدينة للمرة الثانية أو يعيد تصحيح كتابة التاريخ السابق ليترك للسارد أو لمجموعة الساردين في النص أنتاج حكاياتهم الخاصة في مختبر المدينة المشتعلة بالحرائق، من هذه الزاوية يرى الكاتب أن التاريخ لا يكتب بطريقة متسلسلة أنما هو مركب خليط غير متجانس من الحكايات المتناقضة والمتشعبة والمولدة والمتطابقة يعاد تدويرها لإنتاج حكاية العصر، أي عصر كان، شفاهي أو كتابي، فالكل يتخيل حكايته على هواه، وفق متطلبات عصر الإنتاج".[٨]

ثانيا: الشخصيات البغدادية في الرواية

حرص الروائي حميد الربيعي أن يستخدم تقنيات ما بعد الحداثة وكان ظهور الشخصيات على مسرح الأحداث الواحدة تلو الأخرى وكل هذه الشخصيات تسكن المدينة (بغداد)، ومن هذه الشخصيات الفتى يشبه الشيطان والذي يهرب من ملك الموت عزرائيل، والعرجاء التي توحي للمتلقي بعنوان الرواية سراديب أحمر حانة ومن يتابع هذه الشخصية يتعرف على أزقة وشوارع

المدينة (بغداد)، وهناك الشخصية التاريخية أبن الأثير، وهي شخصية تاريخية يعود وجودها ومدى تأثيرها إلى عام (١٢٣٣م)، يصادف ظهورها نتيجة مطاردة عزرائيل إلى الشاب الأشقر الذي يشبه الشيطان، يعيد حساباته ويجد نفسه قد قدّم تزويراً لتاريخ هذه المدينة في كتابه (الكامل في التاريخ)، أما الشخصية الأخرى فهي إدريس العاشق والذي صادف خروجه من بطون التاريخ ومن مملكة ميشان وهو الذي لم يغادر قريته منذ اثنين وعشرين قرناً ونيف، يصادف أن يكون توجهه إلى المدينة (بغداد) وقت هزيمة الجيش من الكويت.

إن شخصيات رواية أحمر حانة لحميد الربيعي تتوفر فيها مقومات الخلق السردي، وقد كتبت السردية بلغة شاعرية قريبة إلى لغة العصور التاريخية التي عرفت بها المدينة (بغداد)، فالرواية أحمر حانة تؤمن بإن الفكر التاريخي يمكن أن يتغير ويتطور لأن المشكلات الحالية جذورها في الماضي وهي أيضاً مؤثرة على المستقبل ولا سيما تلك الحروب التي تعصف بالمدينة (بغداد) في كل الأزمنة، وترى السردية إن "الوثيقة التاريخية ليست مقدسة ويمكن أن تحمل ما لم يحدث فعلاً في الواقع، ويمكن تزوير الأحداث التاريخية وتغيير النتائج من أجل التوظيف السياسي للتاريخ، لقد أعطى الروائي حميد الربيعي للكلمات قيمتها وجعل روايته كأنها الحياة التي نعيش لحظاتها ونشعر بإن الرواية هي وسيلة مدهشة".[٩]

وكان لمركزية المكان أثرا على الشكل الأدبي القوي، حيث أعطى الروائي حميد الربيعي مثالاً على أن الشكل الأدبي الذي يتمتع بالقوة هو الرواية ولأنه يملك نفساً أدبياً جميلاً إستطاع أن يجعل المضمون متحزماً بتفاصيل عن المكان والسكان والمعيشة في المدينة (بغداد)، هي نفسها الأماكن التي نمر بالقرب منها يومياً لكن بعد قراءة الرواية ننظر إليها بشغف وكأننا نسمع بها لأول مرة، فهناك لمسة من رهافة الإحساس التي تعطي هذه السردية عبر اللغة التي يستخدمها الروائي حميد الربيعي.

ثالثا: الملاحظات التي تظافرت على تشكيل صورة المدينة (بغداد) في الرواية

١-إستطاعت رواية أحمر حانة أن تعكس مفهوم الحرب وأسلحته المتطورة على أرض العراق وشعبه، من خلال تصوير الدمار الذي أصاب أحياء وأزقة وشوارع المدينة (بغداد) بشكل خاص حيث نلاحظ أن الحرب ومن خلال مدينة بغداد شكلت ثنائية تكاد تكون مركزاً في الرواية صورة (بغداد/ الحرب)، وهنا تكون: "حركة الحدث الروائي في النص السردي لابد أن تنتظم ضمن منظور مكاني يحيط بالحدث، بمعنى أنه لا يمكن أن تدور أحداث رواية ما دون تصور مدلولات واضحة لأماكن الأحداث، وما تركه هذا المكان من أثر في بناء شخصيات الرواية، وفي إختيار نُظم علاقاتها وردود أفعال أبطالها".[١٠]

٢-إن رواية أحمر حانة مليئة بوصف الأماكن داخل المدينة (بغداد)، من طرق وشوارع وما موجود فيها من معالم، وقد أراد الروائي حميد الربيعي من خلال ذلك الربط بين تاريخ العراق الحديث وتاريخه المعاصر، وأن يعكس صورة الدمار الذي تسبب به الإحتلال الأمريكي على العراق الذي شمل كل جوانب الحياة، وإستطاع أيضاً أن يوضح صورة الدمار العراقي بجوانبه كافة بدءاً من العاصمة بغداد ومناطقها وساحاتها وشوارعها وإنتهاءً ببيت العائلة العراقية.

٣-للأحداث الطائفية أثرها الواضح في بناء المكان داخل الرواية العراقية، ففي الرواية ذاتها إستطاع الروائي حميد الربيعي أن يمنح شوارع المدينة (بغداد) خصوصية في تصوير ما أصابها من دمار بسبب تغير الأوضاع الأمنية في العراق، فالرواية تمثل صورة العنف والموت في العراق، هذا الزمن هو زمن التحولات زمن الفاجعة التي أسست لها واقعية جديدة هي الواقعية العراقية في زمن العنف، وقد إمتزجت هذه الواقعية في رواية أحمر حانة بالمكان الفنتازي، الغرائبي، العجائبي، والفنتازيا "في الأدب تعتمد على مزيج غريب وغير متوقع بين الداخلي والخارجي، أي بمعنى آخر المزج بين الخيال والواقع لتقريب صورة الواقع، فكثيراً ما يلجأ الإنسان إلى الخيال في محاولة لكشف صورة الواقع المليء بالتناقضات والصراعات والعجائبيات من الأمور التي وقف العقل عاجزاً عن كشف خباياها ولعل الخيال يعين على ذلك"،[١١] ووظفت هذه الفنتازيا من خلال صورة المدينة (بغداد) لتجسد الحالة العراقية المعقدة في أجواء من الإرهاب والقتل والخطف والجثث المجهولة.

فظهرت "تمثلات الموت فيها بتجليات واضحة وغلب على هذا المنجز السرد الفجائعي، وظهرت الآثار الناجمة عن العنف في فضاء النص الروائي العراقي، وتوغل السرد في يوميات الناس وفي حياتهم المتورمة بالعنف وأصبح السرد العراقي مرائي للمكان وللقيم المنهارة وللإنسان الذي أصبح لا قيمة له في أجواء من الإختناق الطائفي والمناطقي والقتل المجاني، وجاءت هذه الفجائعية في السرود العراقية كون الرواية أنتجت وسط العنف والانكسار النفسي والإحباط واليأس والخراب وفقدان الأمن والسلم والحب الفاشل الإنسان لا يملك غير ذاكرة مدمرة ونفسية مضطهدة".[١٢] وقد غابت في هذه المدينة (بغداد) في رواية أحمر حانة "مشاهد السعادة والأمل والحب الناجح والتفاؤل والرومانسية... وتم التعبير عن رماد الواقع عبر الإحساس بالفاجعة ورصد للخراب، داخل فضاء العنف. فقد كانت الشخصيات تخوض صراعاً مع نفسها، ومع معطيات الواقع وأنقاضه وإمتعاضها منه كما سجلت مصائر تلك الشخصيات وإنهزامها وإنكسارها النفسي، فضلاً عن ذلك فقد رسمت هذه الرواية الإنحطاط القيمي وتفشي العنف في الممارسات الإجتماعية، وسجلت ثيمة الموت حضوراً فعالاً في رواية ما بعد عام (٢٠٠٣ م)".١٣

وأصبحت الأماكن المدمرة في المدينة (بغداد) نسقاً مهيمناً، في التعبير عن أزمة الإنسان العراقي المنسحق "وسجلاً لكشوفات الواقع الفاسد ورسمت رؤية تشاؤمية لما وصلت إليه الأمور، وقضاة دلالياً للشروخ النفسية والسياسية داخل بنية المجتمع، فالعنف في المجتمع العراقي ذو أبعاد إجتماعية١٠ بنيوية تتصل بالمستوى الثقافي والفكري للجماعة لا للأفراد".[١٤]

٤-لقد حرص الروائي حميد الربيعي أن يصف المكان وموقعه في المدينة (بغداد) بكل دقة، سانداً ذلك الوصف بوقائع تاريخية وبشخصيات يذكرها التاريخ دائما مثل ابن الأثير، فأراد من وراء توظيف شخصية ابن الأثير ذلك إيهام القارئ أن الذي يراه وما يحدث هو حقيقة وليس خيالا، فليس من واجب الوظيفة الإيهامية للوصف نقل الواقع كما هو، وإنما زيادة تفاعل القارئ مع الحدث وجذبه إليه، وإلصاق صورة المكان في ذهنه بصورة واضحة وعميقة و "عن أثر المكان في تكوين وعينا النفسي فالمكان الأول في وجداننا العاطفي، سواء أكان كوخا أو قصرا، يترك أثره في اللاوعي الذي يعيد إنتاج الصور عن ذاك المكان، ومع مرور الزمن لا تكون تلك الصور مطابقة غالبا للواقع، بل إنها مطابقة لذكرى المكان في مخيلتنا".[١٥]

رابعا: نماذج تطبيقية لصورة المدينة (بغداد) في الرواية

إننا حينما نقرأ في الرواية نستشعر مدى الحرج الذي تمر به بغداد بصفتها مدينة للسلام تحولت إلى مدينة مدمنة للحروب وخربة جراء أطنان من الديناميت والأسلحة التي تتعاطاها هذه المدينة ليلاً ونهاراً، لذا يشير الاقتباس إلى هذا التحول الخطير:

"الموت أجمل في بلادي من سواه.

خلتُ أني في الجحيم أسير، وأن المدينة ليس لها مثيل، لم أنزل الدرجات الأربع نحو القاع، البوابة صدمتني بالأهازيج والأغاني الخليعة، مطرب يتغزل بغلام، بوقاحة، آخر يركض خلف ابن الجيران ليطأه.

- هل تعرف أن الجدران تتآكل؟ رجل لم يوجه كلامه مباشرة إلي، لاحقته فضولا: ما الذي يدعوك لهذا القول المأثور؟ - العثة، يا ابن أبيه، إن العثة مثل الأرضة تنخر الحيطان.

لم أكن قد استرعيت انتباهه وهو يقف لصق الجدارية، حتى خِلْتُ في البداية أنه أحد الشخوص التي رسمها فائق حسن، بيد أنه ما إن تكلم حتى لاحظت أن هيئته تختلف كثيرا عن الآخرين، هو يرتدي قميصا بنصف كم وبنطلونا متهرئ الأطراف، الواضح أنه هاوٍ للسير في الطرقات لعله قد أضاع عزيزا، كما يحدث للآخرين هذه الأيام بفعل الانفجارات.

ما إن تخطاني ببضع خطوات حتى أخرج كتيبا من جيبه ودون ملاحظة، انتابني الفضول في الحقيقة سرى الشك في داخلي من تصرفه غير اللائق، كنت أظنه درويشا عاف الحياة".[١٦] وفي

المقطع السابق نلاحظ إنقلاب في معاني القيم والأشياء وإنقلاب واضح في الوضع الذي تعيشه المدينة.

"لم يكن يُسمع، التفَّ إخوة الكهف حوله دائرة، يلوحون بصنادل جلدية، كانت في الأصل طرية، بَيْدَ أنها تغضنت ونمت الفطريات في ثناياها، بالإضافة إلى رغوة القيح التي تفتقت من أصابع أقدامهم على مر الأيام، فجعلتها كالصخرة. إخوة الكهف خمسة، يتبارون في بياض البشرة والطول، لكنهم جميعهم ذوو لحى، مقصوصة الأطراف وتلتم عند الذقن مشكلة شعيرات عنزة عجفاء".[١٧]

وأخوة الكهف هم الجماعات الإرهابية المتطرفة التي تكفر الناس وتفتي بقتلهم السلفية، الوهابية، القاعدة، داعش، لذا كان الموت ببعديه المادي والمعنوي فيها سيد الموقف والإنكسار النفسي قد أعطب الحياة وأماتها في رواية أحمر حانة، وقد ألقت هذه الحياة الكابوسية بظلالها على أحداث الرواية.

رواية أحمر حانة تحمل رسالة تسلط الضوء على الحقيقة المريرة للحروب والتخريب، حيث يتم إستخدام الوصف المفصل واللغة القوية لتعزيز التأثير العاطفي على القارئ، يظهر هذا المشهد المظلم والمروع الوضع الصعب الذي يعيشه سكان بغداد في هذا الزمان، ويمكن الإستنتاج أن الرواية تقدم نقداً واقعياً للواقع المأساوي الذي تمر به المدينة (بغداد) من خلال الأسلوب الوصفي المفصل لإلقاء الضوء على حالة اليأس والفوضى التي تسود المدينة، يترك هذا المشهد القاسي إنطباعاً عميقاً على القارئ حول واقع الحروب والتدمير.

إن وصف المدينة والأماكن التي فيها وصف ينبني على الإنكسار، فـ "الإنكسار النفسي يطغى على شخصيات الرواية العراقية وعلى الفضاء المكاني والزماني بحيث يمسي الموت مركز ثقل السرد والبؤرة الإخبارية التي يدور حولها، مما يدل على تعميق ثيمة العنف الذي جثم على المكان، وهو تكريس للسرد الفجائعي في الروايات العراقية المنتج بعد عام(٢٠٠٣م)".[١٨]

فكانت هذه الرواية أحمر حانة شاهداً على مسيرة العراق السياسية والإجتماعية تحت الآلام والمعاناة ووثيقة للذات المنكوبة بالعنف، فقد تميز خطاب الموت في أحمر حانة بكونه يتأسس على الإحتفاء بالفجيعة والغياب والأفول، إذ تتحول المعاناة إلى حكاية ومصير لكل الشخوص وهم يرزحون تحت ثنائية الحياة والموت ويواجهون خيبة الأحلام والآمال في مسيرة حياتهم، لذا نستطيع القول أن هذه الرواية بشكل خاص والرواية العراقية بشكل عام أصبحت رواية حرب من دون وعي منها، ولهذا تجد أغلبها انشغل بالمشاهد البصرية و "عجزت عن تأمل هذه التجربة بصورة خلاقة ووقعت في المشكلة نفسها التي وقعت فيها الرواية العراقية زمن حروب الدكتاتورية

مع الفارق يرجع بعض الباحثين إلى أن أدب الحرب العراقي السابق هو أدب لا يعتد به؛ لأن تلك الحروب كانت عبثية وبلا أهداف وطنية سامية".[١٩]

عند النظر إلى المدينة (بغداد) في هذه الرواية أحمر حانة، نجد أنها مدينة ملتهبة بأثر الحروب، خاصة الإحتلال الأمريكي للعراق، تتضح تأثيرات الحروب والإحتلال على الشوارع والمباني والأماكن بشكل واضح، وتعكس حالة الدمار والتشويه التي يعاني منها المكان بشكل عام.

الشوارع المزدحمة والنابضة بالحياة قد تحولت الآن إلى ممرات فارغة ومهجورة. يلاحظ الأنقاض والحفر والأماكن المهدمة، وكأنها آثار مؤلمة تذكر بأن المدينة (بغداد) كانت في يوم من الأيام مركزاً حضارياً وحيوياً. يمتلئ الهواء بالغبار والدخان، وعبقرية المكان تبدو مكتومة تحت سحابة من الحزن، وتتجلى الأبعاد الفانتازية للأماكن في شوارع المدينة (بغداد) من خلال حاناتها المهجورة والمظلمة، التي يعلو صوت الموسيقى المعترضة ويراقصها الدخان المتصاعد. تكون هذه الحانات ملاذاً للمارة الباحثين عن لحظات هروب من واقع الحرب، حيث يمكنهم لحظات وهمية من النسيان والإسترخاء، وسط تلك الجدران المتصدعة. وفي الحمامات العامة، يتعالى صخب الأحاديث المكتومة والضحكات المقهورة، وهي تتحول إلى ملاذ للمشاعر المكبوتة والذكريات المفقودة. يعكس هذا البعد الفانتازي قدرة المكان على توفير مساحة للناس للتعبير عن ألمهم وفقدانهم وإيجاد قليل من الراحة في زمن الكابوس.

تنبض المدينة بالمباني السابقة مقرات الأجهزة الأمنية في عصر حكم الطاغية، تكون هذه المباني شواهد على تاريخ مؤلم وسطوة قمعية. ترتسم الجدران المتصدعة والنوافذ المحطمة كشواهد تروي قصصاً عن إستبداد وظلم، وتدفع القارئ إلى التأمل في أهوال الماضي وتأثيرها على الحاضر. المدينة (بغداد) في هذه الرواية أحمر حانة تصبح مكاناً مشوهاً بوجوه مختلفة، حيث تظهر أثار الحروب والإحتلال على الشوارع والمباني والأماكن، ومع ذلك ينعكس البعد الفانتازي للأماكن من خلال حاناتها المهجورة والحمامات العامة والمباني التي كانت مقراً للأجهزة الأمنية في زمن الطاغية، مما يعزز الإنطباع العام للقارئ بشأن الألم والأمل والإنتقام المتراكمين في المدينة.

يعكس تداعي المدينة (بغداد) وإنهيارها بوضوح من خلال التماثيل المذكورة بكثرة في الرواية، مثل تمثال كهرمانة وتمثال أبو نؤاس، هذه التماثيل تمثل رموزاً ثقافية وتاريخية للمدينة، ولكنها الآن تتحول إلى رمزاً للتشوه والدمار.

تمثال كهرمانة الذي كان يعتبر رمزاً للفخر والجمال في المدينة (بغداد)، يظهر الآن علامات الفناء والتلف تتشقق سطحه وتتداعى أجزاؤه، مما يرمز إلى تدمير الجمال والتراث الثقافي الذي

كانت تحتفظ به المدينة. يبرز هذا التمثال التحول الحزين من الفخر إلى الخراب، والفقدان العميق للهوية والأصالة، وتمثال أبو نؤاس الشاعر العربي الشهير، يعكس هو أيضاً إنهياراً وانحطاطاً، يتهاوى النصب التذكاري الضخم للشاعر، ويصبح مجرد تمثال مشوه يعاني من تآكل الزمن والتخريب. هذا التمثال كان يجسد الفخر والإلهام والعزة، ولكنه الآن يتحول إلى رمز للهزيمة والتجاعيد.

من خلال وصف هذه التماثيل المتداعية والمهدمة، يتجلى تأثير الحروب والإحتلال على الثقافة والتراث العراقي. تتلاشى الروح الفنية والتاريخية للمدينة (بغداد)، وتبدو الأماكن المهدمة كرموز للمأساة والتدهور. تتحول هذه التماثيل إلى شواهد صامتة على الألم والفقدان الذي يعانيه الشعب والمدينة.

وإجمالاً يمكن القول إن المدينة (بغداد) في هذه الرواية أحمر حانة تظهر كمدينة تتأرجح بين ماضٍ عريق وحاضرٍ مدمر، وتظهر التماثيل المذكورة هشاشة الحاضر وانهيار الماضي، وبالتالي تعزز صورة المدينة (بغداد) كمكان تتعرض فيه الثقافة والهوية للدمار والتشويه.

الخاتمة

في ختام بحثي هذا والمتعلق بصورة المدينة (بغداد) في رواية أحمر حانة لحميد الربيعي ودراسة حياته وسيرته الذاتية والأدبية، فقد توصلت إلى نتائج من أبرزها:

١-إخراج هذا الأثر الأدبي الهام بشكل محلل أدبيا وميسرا ليتسنى للقارئ والباحث إقتناء رواية أحمر حانة ودراستها، كونها مصدراً هاماً لتشكيل هوية الرواية العراقية المعاصرة.

٢-وضعت ترجمة وافية للروائي العراقي حميد الربيعي، على الرغم من قلة المصادر والدراسات التي تناولت حياته ومؤلفاته.

٣- أبدع الروائي حميد الربيعي، فيما أنتج من مؤلفات رغم عدم تخصصه بدراسة الأدب بل هو حباً وشغفاً وهو هاوياً للأدب العربي عامة والعراقي خاصة.

٤-إستخدم الروائي حميد الربيعي في رواية أحمر حانة تقنيات ما بعد الحداثة تتداخل فيها الواقعي والمتخيل بتصوير دقيق وتفصيلي للمدينة (بغداد) وان يتعامل برؤية فنية عالية مع تاريخ العراق وبغداد بشكل خاص بإعتباره فضاءً سرديا.

٥-إيصال رسالة حول واقع الحياة في العراق بشكل عام والمدينة (بغداد) بشكل خاص، وتأثير الحرب والعنف على المجتمع.

وفي الختام أسال الله (عزَّ وجلْ) أن أكون قد وفقت في إثراء هذا البحث وقدمت خدمة ولو يسيرة لنشر الأثر الأدبي للروائي العراقي حميد الربيعي.

الهوامش

١-حمه مراد، لقاء مباشر مع عائلة الروائي.

٢-المصدر نفسه.

٣-المصدر نفسه.

٤-حمه مراد، لقاء مباشر مع عائلة الروائي.

٥-الربيعي، أحمر حانة: ص ٦.

٦-المصدر نفسه: ص ٧.

٧-ثامر، الرواية بوصفها رؤية ونبوءة، قراءة تأويلية في رواية أحمر حانة، ع ٣: ص٣٢.

٨-جبير، السرد بين النصوص المحيطة والاستهلال: ع ٢٤٢٨.

٩-المصدر نفسه.

١٠-جيرارد وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ص ٤٨.

١١-شعلان، السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن: ص ٣٨.

١٢-عباس، تمثلات العنف والموت في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣م: ص١.

١٣-إبراهيم، رصد الخراب في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال، (دراسة)، ع ٢: ص١٧٥.

١٤-الساعدي، العنف السياسي في السرد القصصي العراقي: ص ٦٤.

١٥-باشلار، جماليات المكان: ص ٥٠.

١٦-الربيعي، أحمر حانة: ص ١٨٤.

١٧-المصدر نفسه: ص ٧.

١٨-عباس، تمثلات العنف والموت في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، ع ٢: ص ١.

١٩-عبود، ثقافة العنف في العراق: ص ٣٢-٣٣.

المصادر والمراجع

الكتب

-باشلار، غاستون. (١٩٨٤م). جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. بيروت -لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. طبعة ١.

-جيرارد، جينيت، وآخرون. (٢٠٠٦م). نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير. ترجمة ناجي مصطفى. المغرب-الدار البيضاء: منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، دار الخطابة.

-الربيعي، حميد. (٢٠١٧م). رواية أحمر حانة. مصر الجيزة: دار صفصافة للنشر والتوزيع.

-الساعدي، عبد جاسم. (٢٠١٣م). العنف السياسي في السرد القصصي العراقي. عمان -الأردن: دار فضاءات للنشر والتوزيع.

-شعلان، د. سناء. (٢٠٠٤م). السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن. عمان - الأردن: وزارة الثقافة.

-عبود، سلام. (٢٠٠٢م). ثقافة العنف في العراق. العراق -بغداد: منشورات الجمل. مجلد١. طبعة ١.

المجلات والمقالات

-جبير، محمد. (٢٠١٧/٣/٢٢م). (السرد بين النصوص المحيطة والاستهلال). مقال صحيفة الزمان، العراق، العدد ٢٤٢٨.

-ثامر، فاضل. (٢٠٢٠م). (الرواية بوصفها رؤية ونبوءة، قراءة تأويلية في رواية أحمر حانة). مقال مجلة الأقلام العراقية، العراق، دراسات، العدد ٣.

-إبراهيم، سلام. (٢٠١٢م). (رصد الخراب في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال). (دراسة)، مجلة تَبيُّن، العدد ٢، قطر، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.

-عباس، لؤي حمزة. (٢٠١٤م). (تمثلات العنف والموت في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣). مجلة جامعة ذي قار، العراق، العدد ٢، مجلد ٩.

اللقاءات

-حمه مراد، إسراء جلال. لقاء مباشر مع عائلة الروائي حميد الربيعي بتاريخ (٢٠٢٣/٦/١٢ م)، وتم تزويدها بالأرشيف الشخصي والسيرة الذاتية للروائي.

English: Sources and references

Books

-Bachelard, Gaston (1984). The aesthetics of the place. Translated by Ghaleb Hilsa. Beirut - Lebanon: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. 1 st edition.

- Girard, Genet, et al. (2006). Narrative theory from point of view to focus. Translated by Naji Mustafa. Morocco-Casablanca: Academic and University Dialogue Publications, Dar Al-Khattab.

-Al-Rubaie, Hamid. (2017 AD). Red pub novel. Giza, Egypt: Dar Safsafa for Publishing and Distribution.

-Al-Saadi, Abdel Jassim (2013 AD). Political violence in Iraqi storytelling. Amman - Jordan: Fadaat Publishing and Distribution House.

-Shaalan, Dr. Sanaa (2004 AD). The strange and miraculous narrative in the novel and short story in Jordan. Amman - Jordan: Ministry of Culture.

-Abboud, Salam (2002 AD). Culture of violence in Iraq. Iraq - Baghdad: Al-Jamal Publications. Volume 1. 1st edition.

Magazines and articles

-Jubayr, Muhammad. (3/22/2017 AD). (Narration between the surrounding texts and the opening). Al-Zaman newspaper article, Iraq, Issue No. 2428.

-Thamer, Fadel. (2020 AD). (The novel as vision and prophecy, an interpretive reading of the novel Red Pub). Article from Iraqi Al-Aqlam Magazine, Iraq, Studies,

Issue 3.

−Ibrahim, Salam. (2012 AD). (Monitoring the devastation in times of dictatorship, wars, and occupation). (Study), Tabyon Magazine, Issue 2, Qatar, Doha, Arab Center for Research and Policy Studies.

−Abbas, Louay Hamza. (2014 AD). (Representations of violence and death in the post-2003 Iraqi novel). Dhi Qar University Journal, Iraq, Issue 2, Volume.

Encounters

−Hama Murad, Israa Jalal's profile and biography of the novelist. Direct meeting with a family Novelist Hamid Al-Rubaie On (6/12/2023 AD)، It was provided with an archive.